أدب الطفل العربي بين مكتسبات الهوية الأصيلة وتحولات الراهن.

Arab children's literature between the gains of authentic identity and the transformations of the present.

حنتوت نوال

جامعة أمحمد بوقره بومرداس، (الجزائر).

n.hantout@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام:2022/01/23 تاريخ القبول:2022/04/24 تاريخ النشر:2022/05/13

ملخص:

عمل أدب الطفل بتكريس جهوده على إبراز المعالم الأخلاقية والإنسانية؛ التي يحكمها الإطار الديني الإسلامي تحت ما يسمى بالأصالة؛ هدفا من تكوين كيان الطفل الذي يحتاج إلى أساس قويم؛ يفعل ترسيخ ذلك المكتسب الأصيل وجعله نظاما فكريا؛ يتخذ في كل المبادئ، وتنتج تحت إطاره مجمل القرارات والأفعال والتصورات؛ لتمهد لمرحلة ما بعد الطفولة وتنشئة الجيل الصاعد. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز التواصل الهوياتي للطفل، وكيفية تمكنه من مقاومة سلبيات الراهن المتحول.

من خلال هذه الزاوية يمكننا فتح المجال لطرح العديد من التساؤلات التي تتلخص في جمل استفهامية مفادها: في خضم هذا الراهن هل بالإمكان أن تبقى المساحة متاحة للأخلاقيات الأصيلة؟ وكيف لنا أن نمسك بزئبقية ذلك المتحول الذي يحاول أن يرسم طريقا مختلفا لهوية الطفل العربي؟ وما هو السبيل إلى منع هذا التقاطع وجعله طريقا وسطا للتبادل والالتقاء؟.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل؛ أصيل؛ متحول؛ انتماء؛ هوية.

Abstract:

The work of children's literature by devoting its efforts to highlighting the moral and human features; governed by the Islamic religious framework, under the so-called authenticity; A goal from the formation of the child's entity that needs a sound foundation; It does consolidating that original acquired and making it an intellectual system; It adopts all principles, and under it produces the sum total of decisions, actions, and perceptions; To pave the way for post-childhood and the upbringing of the next generation. This study aims to highlight the identity communication of the child and how it enables him to resist the negatives of the transforming present. Through this angle, we can open the way to ask many questions that can be summed up in interrogative sentences: In the midst of this current situation, is it possible for the space to remain available for authentic ethics? And how can we catch the mercury of that convert who is trying to chart a different path for the identity of the Arab child? What is the way to prevent this intersection and make it a middle way for exchange and meeting?

***Keywords*:** Children's literature, authentic, transformed, affiliation, identity.

المقدمة:

تتحدد هوية الإنسان من خلال نقاط عدة أبرزها الانتماء الثقافي والديني والفكري، ولابد من كل أدب أن يحمل هذه الأسس كوسيلة فعالة في التواصل الإنساني، وهذا ما يسعى إليه أدب الطفل على المدى البعيد في غرس المفاهيم والأفكار الخاصة بسن الطفولة، الأمر الذي يتم نقشه في صفحة الطفل البيضاء.

لقد عمل أدب الطفل بدور ريادي في تحميل ذلك الأصيل؛ الذي يغطي مساحة الفكر الصبياني وترسيخ أهم المعالم التراثية، الوطنية، الانتماءات الدينية، والأطر الأخلاقية؛ التي تدون معالم ذلك المحتوى الديني، وتعد هذه المعالم الثابتة من وظيفة أي أدب أن يبرزها، ويثبتها لتكوين كيان الفرد، لا طالما فترة الطفولة التي تحتاج إلى أساس قويم يفعل ترسيخ المكتسب الأصيل، ويجعل منه الإطار الأساس في بناء قاعدة رئيسة يجد الطفل فيها جميع الوسائل التي تدمجه في الحياة، وتنمي قدراته الفكرية.

من خلال ما سبق يمكننا طرح مجموع أسئلة في جمل استفهامية مفادها:

في خضم هذا الراهن هل بالإمكان أن تبقى المساحة مفتوحة على مصراعيها لهذا المكتسب الأصيل؟ وما هي درجة ترسيخه في كيان الطفل؟ وكيف لنا أن نمسك بزئبقية ذلك المتحول الذي يحاول دائما أن يرسم طريقا مختلفا لهوية الطفل العربي المسلم؟ وكيف لنا أن نمنع هذا التقاطع، ونجعل منه طريقا وسطا للتبادل والالتقاء؟ ما مدى فعالية تحصيل هذا الأصيل والبلوغ به كفكرة انتماء حقيقية؟ وما مدى تكييف المكتسب الهوياتي الأصيل داخل دوامة الزمن الزئبقي الذي سرعان ما تتغير براثنه نحو المجهول؛ الذي يدخل ساحة التواصل عنوة ليغطي مساحة الأصيل، ويحل محله تحت إطار العولمة أو المعاصرة؟.

ومن القضايا المطروق إليها في هذه الدراسة نجد:

1. مفهوم أدب الطفل.
2. مفهوم الهوية في أدب الطفل.
3. أدب الطفل: أخلاقيات الكتابة / والأخلاقيات الموجهة للطفل.
4. القانون الوضعي للصورة الرقمية في أدب الطفل.
5. التحصيل التراثي والثقافي بين الصياغة والتوجيه.

ومن الأهداف المدرجة في دراسة موضوع أدب الطفل العربي بين مكتسبات الهوية الأصيلة وتحولات الراهن:

أنه لا بد للإشارة إلى الآليات والتقنيات، التي وجب أن ندرجها في برنامج تعليم الطفل من خلال القوالب الإبداعية:" قصة، مسرح، رسم، شعر، حكاية شعبية شفوية...الخ والتي يكون من خلالها ظهور

قوي للماضي العريق؛ الذي يعد الإطار الفكري التواصلي الرصين؛ يكون شخصية الطفل ويجعل منها قواما يسير بخطى ثابتة، وسط التحولات الراهنة التي من المفروض عليه أن يساير ركبها بما يتناسب وشخصيته المنتمية إلى حضارتها الإسلامية العربية.

1. مفهوم أدب الطفل:

يعد الأدب في صورته العامة والشاملة؛ المحتوى الذي يستقيه الكاتب من الواقع، ويفرغه في قالب إبداعي؛ يحقق وظيفة اللغة التواصلية بأنواعها المختلفة، كما أنه يعتبر"**وسيلة من أهم الوسائل التي ينبغي استغلالها والتعامل معها بشكل إيجابي وخاصة في تربية الأطفال**" (بريغش، 1996م، صفحة 41) بغية الوصول إلى الهدف المنشود المتوقف على التمكن اللغوي، وتوسيع الخيال، وحسن التأمل، وكذا التحصيل الفكري والإبداعي معا. ومن تم اكتساب الشخصية شريطة أن يكون هذا الأدب متوفرا لجميع الشروط الوضعية التي تبني شخصية الطفل من الداخل، وتحقق له غاية الشيء الذي يرى نفسه فيه خلال زمنه المؤقت، والمتمثل في فترة الطفولة.

فالأدب إذن هو نظام غير خاضع لاعتبارات الزمن، وينطبق هذا الرأي المعمم على الخاص، حيث إن أدب الطفل* يتوارثه النشء إن كان خاضعا لجميع الشروط التي تحقق شخصية الطفولة. وتبنيها وفق الإطار الديني العام الذي تسير وفقه البيئة، والمجتمع الذي يعيش الطفل بين أحضانه.

وهذا ما يحيل بنا للقول إن: أدب الطفل يعد بمثابة السبيل القوي الذي"**يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية، إن لم نقل تجسيد لصورة واضحة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه، ولمشكلات حياتهم التي سيواجهونها**" (بريغش، 1996م، صفحة 82).

فأدب الأطفال هو من أبرز وسائل التكوين التي تخص لغة الطفل ووجهة شخصيته، ومركزا لتكوين هويته ومنحها جميع مقومات الانتماء للمجتمع؛ الذي يتواصل فيه الطفل، وكذا منحها الأسس الركيزة الخادمة للتواصل مع الآخر، و التي تمنح الطفل فرصة التفاعل والتواصل الهوياتي الإيجابي.

2. مفهوم الهوية في أدب الطفل:

إذا تطرقنا إلى مصطلح الهوية داخل عالم الطفل؛ فإننا نتطرق بالضرورة إلى آليات التنشئة الفكرية والدينية والمعرفية للمحيط، الواقع، المجتمع، والعالم الذي يكون فيه الآخر هو كذلك يخضع لنظام تكويني يبني به هويته.

فالهوية هي بمثابة "**الصورة التي يكونها الفرد عن ذاته من خلال صفاته الفردية ومقوماته الشخصية وما تحمله من خصائص تخصه**" (كوسة، 2004،2005م، صفحة 82) في المقابل وجب

على الفرد امتلاك قوانين تستسيغ هذه الخصائص، بغية تجسيدها داخل الإطار المتعارف عليه في المجتمع وبهذا يكون الفرد قد تفادى الوقوع في الخطأ والزلل.

من هذا المنطلق يستطيع الإنسان أن يفهم دائما أن التواصل الهوياتي، مهما كان نوعه، بدءا من محيطه البيئي، وانتهاء إلى التواصل مع الآخر الذي لا ينتمي إلى عالمه؛ إنما يتم تأسيسه وفق عامل الاختلاف أو التباين، فتقبل الاختلاف هو ضمان إلى ما يسمى ب: **"التوازن النفسي والاجتماعي للفرد"** (كوسة، 2004،2005م، صفحة 82) والهوية المعنى بها لتكوين الطفل وفق إطارها من خلال أدب الطفولة؛ إنما تكمن في الهوية المبنية على أساس المتغيرات، وكذا كيفية اكتساب الآلية لتطويرها لا التأثر الكلي بها **"كون أن الهوية تتأقلم مع الأوضاع والتغيرات الثقافية المتعددة، الأمر الذي يدعي إيجاد آليات دفاعية تتماشى وتلك العناصر والتقلبات المختلفة"** (كوسة، 2004،2005م، صفحة 82) التي يواجهها الطفل فالصورة التي تنبثق مباشرة؛ من خلال ما يرسخ في مدونات أدب الطفل؛ هي صورة الوقائع المختلفة المتجسدة على أرضية الواقع المليء بالعديد من الأفراد الذين هم يختلفون في رؤاهم ومبادئهم، سواء على مستوى الواقع الحقيقي المعاش، أو الواقع الانفرادي الرقمي.

إذا نحن سلمنا بأن الواقع الذي وجب أن يبث عن طريق أدب الطفل؛ هو الواقع القريب جدا من عالم الطفل، ويحمل هذا الأدب ما يحمل من مقومات إنسانية تعمل على تنشئة الطفل، بناء على رؤية الموروث الحضاري والثقافي، وكيفية تفعيل هذا البناء الثقافي وتجسيده على أرض الواقع، فإننا استطعنا أن نبني شخصية الطفل بناء قويما مبنيا على التواصل اللين؛ المنحصر بين الأصيل الثابت الذي يعد كيان الشخصية الذي تم تطويعه؛ يظهر من خلال أفعال وإنشاءات الشخصية، ودورها في بناء المجتمع، وكذا المتغير الذي يجد نفسه يتعامل معه بما يناسب إطاره الواقعي.

ما يحيل بنا إلى القول إن: هناك **"تحديد متبادل بين الظروف الموضوعية الموروثة التي لا بد أن يجد الناس أنفسهم فيها، وقدرتهم على أن يفرضوا إرادتهم الذاتية على هذه البيئة المادية وأن يغيروها"** (هوكس، 1996م، صفحة 76) الأمر الذي يدعي بالمقابل إلى أن تكون هوية الكاتب لأدب الطفل هي العصارة التي يأخذ الطفل منها اللب؛ إذ إن هوية الكاتب وجب أن تكون هوية مبنية على أساس الثبات، هذا الأخير يعد خطا دفاعيا أثناء الانتقاء من الآخر الذي يأتي بالجديد والمختلف، فبين هذه الثنائية يكون كاتب أدب الطفل يحمل هوية مشكلة، يستطيع أن يعلنها للطفل من خلال ترسيخ مختلف القواعد؛ التي وجب أن يتبناها الطفل في مواجهته للمجتمع؛ المبني أساسه على مبدأ التغير والتحول.

وبالتالي فنحن نكون وسط هذه الساحة قد هيأنا الطفل كي يكون ذكيا في انتقاء ما هو نافع في التواصل، وعن طريق هذه الشاكلة يكون الطفل قد تم بناء هويته على أنقاض الآخر، الذي نعني به "الكاتب" تحت منطلق أن النشء هو جزء من إنشائنا.

الأمر الذي يدعي إلى القول إن: "**الإحساس بامتلاك صفات قدرة التأثير على الأفراد والأشياء والتحكم في المحيط مع امتلاك تصورات مشجعة للذات، بمقارنتها مع أفراد آخرين لدليل على التكيف الاجتماعي**" (كوسة، 2004،2005م، صفحة 74،73) الذي يؤول إلى إبراز مقومات الشخصية الإيجابية التي وجب تثبيتها داخل كيان الطفل.

فأدب الطفل وبصفة عامة سواء كان عن طريق الكتابة؛ مع إدخال صفات البهجة والألوان كالقصص المقدمة للطفل التي تبني خيال الطفل، الذي لا يخرج عن حديقة الطفل الغناء، المليئة بالرسوم الملونة والمغامرات العجيبة، أو كان أدبا رقميا يبعث على تجسيد فكر وانتماء الآخر، وإدخال صور عديدة كالحركة والوقت المحدد الذي تبث فيه...الخ. فهوية الطفل وجب أن ترتكز على عوامل ثابتة متمثلة في: الانتماء، الامتداد، والوطنية.

أ– الانتماء**:

يعد من أهم العناصر والسمات الثقافية التي تميز الأفراد عن غيرهم، إضافة إلى ذلك يعتبر مفهوم الانتماء من" **أكثر المفاهيم ارتباطا بالهوية، إذ هو في مفهومه العام يعني أنه لابد أن ينتمي الفرد إلى جماعة أساسية، في أعماق الفرد، يتضمن شعور الفرد بكونه جزء من مجموعة أكبر(أسرة قبيلة، حزب ملة أمة، جنسية، وقومية...) ينتمي إليها وكأنه ممثل لها أو متحد معها، أو متقمص لرؤاها وتوجهاتها ويشير هذا الانتماء إلى النزعة التي تدفع الفرد إلى الدخول في إطار اجتماعي– فكري معين، وما يستتبع هذا الأمر من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار ونصرته والدفاع عنه، في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى**" (الدسوقي، 2018) فالانتماء عنصر يحدد إطار التواصل الاجتماعي لدى الطفل، وآلية من آليات ربطه بكيانه وخصائص مجتمعه، والانتماء سلاح من الأسلحة الإنسانية التي تحصن الفرد عبر مراحله الحياتية بدءا من عالم الطفولة؛ كونه عاملا مساعدا في تنشئة الطفل؛ تنشئة انتماء للعرق الذي يتأسس منه، وجعله وسيلة دفاع عن حقوق هذا العرق المنتمي إليه، وإعادة ترسيخ الثابت الأصيل في وسط المتغيرات التي يفرضها الزمن، البيئة، والواقع الحياتي.

فالانتماء وتحديد الهوية على أسس "**الدين والموقع والثقافة والمجتمع وغيرها؛ تؤسس معنى الحضارة والذي يحكم أصول التعامل البشري، ولا نقصد من تعامل الحضارات بمختلف الأساليب والمناهج، تبيان تفوق أو تخلف صناعتين أو تطور أو تدهور عمراني، وإنما الأساس هو التمييز**

الهوياتي" (المحمداوي، 2019م، صفحة 46) إذ أن وقوع الخلل يكون على حساب الطفل الذي يبتاع المبثوث دون معرفته بالمخاطر المنجرفة على حساب هويته، أو البات الذي يحاول أن يجعل من هوية الطفل، تعيش في ضبابية لا تدرك النور إلا بعد الوقوع في المستنقع.

ب– الامتداد:

ومن المشروط علينا في أدب الطفل؛ أن يعرف الطفل حدود الحمى التي ينتمي إليها، ومجموع الأشياء التي تبرز هذا الانتماء الممتد عبر التاريخ الحضاري **"فالهوية تحدد الانتماء البشري، ومن هذا المنطلق يتفق علماء النفس بصفة عامة على أن الأفراد والجماعات يحددون هويتهم بتمييز أنفسهم عن الآخرين ووضع أنفسهم في تعارض معهم"** (المحمداوي، 2019م، صفحة 67،69).

وتنحصر حدود الانتماء العربي الإسلامي في اللغة العربية، والواقعة الدينية، والتراث الذي يحمل محمولات فكرية وثقافية، تحدد امتداد ذلك الانتماء عند الإنسان العربي المسلم على مر العصور كون إن**"الهوية الواحدة المشتركة في نفوس أبناء المجتمع لا تتأتى إلا بالرابط الديني القوي، وبلغة الدين المتمثلة في اللغة العربية"** (الدسوقي، 2018).

ج–الوطنية:

كما أن الهوية الوطنية لها صيغة خاصة بها تحقق ذلك التأقلم، والتوازن الاجتماعي فبين التحضر والتقليد نجد أن الشخصية الوطنية لها نقاط متمكنة منها، ومتمسكة بها مما يصفها ويفرقها عن الشخصيات الأخرى. (كوسة، 2004،2005م، صفحة 82) وبالتالي فأدب الطفل معنى ببناء الشخصية التي تنمو داخلها روح الهوية المتفاعلة مع الوطن والآخر أيضا، وعليه فأدب الطفل معنى وبالدرجة الأولى **"بالتركيز على قضية الهوية من دون مراعاة الأهمية والانتباه إلى الأهداف أو الأسباب"** (المحمداوي، 2019م، صفحة 69).

3. أدب الطفل أخلاقيات الكتابة/ والأخلاقيات الموجهة للطفل:

يعد أدب الأطفال الساحة الواسعة التي تفتح الأبواب للتواصل المبدئي بين الطفل، وعالمه الخارجي لذلك نقول إن: هذا النوع من الأدب مهيأ لأن يكون **"أدب المستقبل النابض بالحياة، والممتلئ بالأمل المشرق والمعبر عن الإنسانية جمعاء"** (عبد الفتاح، 2000م، صفحة ص) في امتدادها الثقافي، وانتمائها الوطني الديني، وفي تواصلها المبني عل التعارف اللانهائي .

ومن أساسيات هذا الأدب أنه يحمل ثوابت، تحيله لأن يحمل رسالة التواصل التي تبني كيان الطفل سواء ما يخص الأدب المكتوب، أو المرتبط بالعالم الرقمي، وذلك بغية تحقيق غايات منشودة إذ **"يرى بعض الباحثين أن الذي يكتب للأطفال يجب أن يكون مبدعا لصيق الصلة بالأطفال، ويعاملهم، ويكتب**

وكأنه واحد منهم يعيش معهم في واقعهم وخيالهم" (إسماعيل، 2004م، صفحة 75) ويحدد رؤاهم البسيطة حول الشيء المرغوب الوصول إلى فهمه وتفسيره."**مع مراعاة مجموعة الاعتبارات التربوية والسيكولوجية، فالذي يكتب للأطفال يعد مربيا بالدرجة الأولى، فهو يحاول الأخذ بيدهم لدمجهم في مجتمعهم، ويعلمهم الأخلاق وحسن المعاملة والتعاون"** (عبد السلام، 2010،2011م، صفحة 22).

علاوة على ذلك فإنه ينبغي على المتصل بأدب الطفل، أن لا يخرج عن حدود الفكرة المراد تجسيدها للطفل؛ فالفكرة وجب دائما أن تكون واضحة ولا يكتنفها الغموض وذلك **"بعدم إقحام الموضوع والأفكار بشكل مفتعل أو استخدام طريقة التلميح التي تؤدي إلى الغموض"** (بريغش، 1996م، صفحة 2007).

إضافة إل ذلك نقول إن: الغاية من الإبداع يجب أن تكون لها مبررات التكوين والتنشئة بحيث **"يسعى المبدع في أدب الطفل إلى تجسيد مجموعة من القيم والأهداف، تتمثل في اعتبارات ينطلق منها الأدب"** (عبد السلام، 2010،2011م، صفحة 22). ويحاول أن يرسخها في ذهن الطفل، ويجعل منها أدوات تنمي فكره؛ من خلال توسيع نظرته للأشياء، وتوسيع خياله، وإشباع روحه بقيم إنسانية خادمة لطفولته، وإنسانيته على وجه العموم.

ومن الغايات الأخلاقية للمبدع في أدب الطفل أيضا **"مساعدة الأطفال على فهم معنى الحياة المحيطة بهم، وتعريفهم بالعالم، وتمكينهم من التكيف مع الآخرين اجتماعيا؛ من خلال تعزيز الانتماء إلى الجماعة والأرض والوطن وتربية الروح الجماعية فيهم، وحثهم على الصداقة وتنمية شعور محبة الآخرين"** (عبد السلام، 2010،2011م، صفحة 22).

بالإضافة إلى أخلاقيات أخرى ومن أبرزها:

أ. أن ينطلق المبدع من قاعدة **"الدراية بالخصائص الفنية والأسس والقواعد العامة"** (بريغش، 1996م، صفحة 82) إذ لا يمكن للمبدع أن لا يمتلك الأسلوب الذي يحاكي به الطفل، ويبقيه في عالمه دون أن يتعدى سنه، وهذا ما نلاحظه في شبكة الإنترنيت، والذي يعد من أكبر السلبيات التي يواجهها أدب الطفل، وهو الاعتماد على بث برامج لا تمت بصلة بعالم الطفل، والتي تساعده على الدخول إلى عالم فوضوي، يؤثر سلبا على سلوكه وتنشئته.

ب. أن تكون الكتابة الموجهة للطفل محتواها معاصر يتماشى مع النمط الحياتي الذي يعيشه، وفي الجهة المقابلة الاعتماد على أساس **"الابتكار من التراث بالإضافة إلى التجربة الشخصية"** (بريغش، 1996م، صفحة 82) بحيث تمنح الطفل العديد من الإيجابيات، ولعل من أبرزها عامل التجربة الذي يعلن من قبل

الكاتب إلى الطفل؛ يعد بمثابة توجيه لسلوكه من خلال توضيح الأمور بواقعيتها الملموسة المجربة والإجابة على تساؤلاته، التي تبعد الصورة المتجهمة داخل فكره للعديد من الأشياء.

ج. أن تحتوي المادة الأدبية الموجهة للطفل على الحكمة والموعظة، و**"التنشئة الأخلاقية والتربية والتعليم والترفيه"** (عبد السلام، 2010،2011م، صفحة 20)لكي يتخذ من مجمل الأحداث المبثوثة في تلك الواجهة الأدبية الإبداعية، العبرة التي تجعله يتماشى في إطار أخلاقي تواصلي سليم.

د. العمل على إنماء اللغة في ساحة الطفل العربي المسلم من منطلق أن : **"إنماء اللغة العربية هي إنماء لغة القرآن وتعزيزها، وبالتالي تعزيز الإسلام وتقويته"** (الدسوقي، 2018) وفي مقابل ذلك ليس من الغريب أو العيب أن ننمي قدرات الطفل اللغوية بلغة قوم آخر؛ فمثل هذه الأمور تعد من مرتكزات التنمية الفكرية الثقافية للنشء، الذي يستطيع من خلال ذلك التنوع اللغوي؛ أن يستقرى فكر الآخر ويستدرجه، وينتقي من أساسياته الأمور التي تجعل منه إنسانا مثقفا في المستقبل.

لذلك نقول إن: الملكة اللغوية تعد من أساسيات التوجيه في أدب الأطفال، حيث يسعى هذا الأخير في **"هذا الشأن إلى التقويم اللساني والتنمية اللغوية، من خلال تثبيت القواعد الصوتية والنحوية والصرفية والتركيبية"** (عبد السلام، 2010،2011م، صفحة 22). الأمر الذي ينمي روح الاعتزاز اللغوي في نفس الطفل القارئ، ويثبت انتماءه.

هـ. يحتمل الهدف التربوي من خلال أدب الأطفال منطلقين أساسين: أن يكون **"الهدف التربوي يتمثل في توسيع مجالات مهاراتهم وتنمية قدرتهم على إدراك الأشياء وفهمها ومواجهة المواقف الجديدة، وتطوير خبرتهم وتنمية الفكرة والذاكرة لديهم، من خلال تقديم الحقائق العلمية وتمكينهم من التعرف على الأماكن والتاريخ وأبطالهم، وتنمية الخيال لديهم"** (عبد السلام، 2010،2011م، صفحة 22). والتي يمكن أن نقول عنها "التربية العلمية الفنية الثقافية"، وفي المقابل وجب أن تبرمج في أدب الطفل مجموع المعايير التي تقيس تربيته، وتوجهها إلى العالم الإنساني الذي يتماشى ضمن الأطر الإسلامية الراقية في تواصله؛ كإنشاء القصص، والرسوم المتحركة الخاصة بالتربية الحياتية التي تتحدث عن شروط النظافة، آداب الأكل، آداب الحديث، وآداب المعاملة، وغيرها من الأمور التي تمكن من تربية جيل مثقف فكريا وتربويا.

و. أن يكون ما بين **"الإلكتروني والكتابي الجمالي ازدواجية واندماج"** (بريغش، 1996م، صفحة 146) بالإضافة إلى عامل الترفيه؛ الذي يمكن الطفل من الاندماج، بحثه على المواصلة والاستيعاب، وتمكين الهوية بعضا من قواعد تكوينها، التي تبعث في الأخير صورة انطباعية عن شخصيته كيف تتكون؟

وبأي طريقة تتكون؟ ثم على أية صورة تتمثل حاضرها ومستقبلها؟ لكي نقول إننا: أنشأنا فردا صالحا في مجتمعه.

ما نخلص إليه مما تقدم إن: كلا من أخلاقيات الكتابة والأخلاقيات الموجهة للطفل، تتماشى في وتيرة تكاملية لا يمكننا أن نفصل الأولى عن الثانية، حيث إن الأولى تمثل الأصل والجذر، والثانية تمثل الفرع والبناء الجديد، وهذا الكل المتكامل؛ إنما يمثل لنا الثابت الأصيل؛ الذي يغرس في كيان الطفل، ليشكل الهوية المكونة لشخصية الطفل، والتي هي عبارة عن بناء موحد بين الثبات والتغير.

4. القانون الوضعي للصورة الرقمية في أدب الطفل:

استغرق حديثنا من خلال ما سبق عن الآليات؛ التي وجب أن ترسخ كذهنيات مثبتة في كيان الطفل، وذلك من منطلق اعتبار أن أدب الأطفال "**يعمل على نمو شخصية الطفل بجميع أبعادها ويساعد في تطوير لغته وإثارة قابليته للقراءة** " (العناني، 1996م، صفحة 64) وتتلخص مجموع الأسئلة المطروحة في هذا الصدد في جمل استفهامية مفادها:

مع تطور التواصل الاجتماعي، وظهور موجة الوسائل الإلكترونية، والتي أصبح تواصلها مبنيا على أساس التفاعل الثقافي مع الآخر، الذي ينشر ثقافته ويروج لها بمختلف الأشكال، التي تجعل الطفل مرهونا بهذه الثقافة المنشورة تحت إطار العولمة: كيف هي الواجهة التي يستقر فيها أدب الطفل ليؤثر بالقوة نفسها في تثقيف الطفل العربي، والتي تعمل وسائل البث الإلكترونية جاهدة لإعلان ثقافتها، والتأثير الكامل على فكر الطفل العربي؟ ثم ما هي الزاوية التي وجب أن يظهر فيها أدب الطفل: هل هي الزاوية القديمة المعتاد عليها المتمثلة في الكتابة والشفهية؟ أم هي زاوية إلكترونية رقمية تساير التطور الحاصل لترويج الثقافة من جهة، وتبعث على ترسيخ وازع الثبات في نفسية الطفل العربي من جهة ثانية؟ كيف لنا أن نقيم صرحا لمجموع المبادئ التي يعمل أدب الأطفال عل ترسيخها بآلية مختلفة تتمثل في الشاشة الزرقاء؟ ما هو السبيل إلى التأثير ومواكبة المعاصرة، والانفتاح على الآخر مع توخي الحذر المطلوب؟

من أبرز وسائل الهيمنة التي يفرضها الغرب تحت إطار ما يسمى بالعولمة؛ هي وسائل التواصل الرقمي فقد باتت"**الوسائل السمعية البصرية نوعا من أنواع الضغط الثقافي ووسيلة من وسائل الغزو السياسي والاقتصادي**" (كوسة، 2004،2005م، صفحة 59) وبالتالي فهي تستطيع أن تضع جميع أنواع الهيمنة التي تمكنها من جعل الطفل تابعا متأثرا ومنغمسا في فكر الآخر الذي يطمح إلى التغيير "**والتغيير يمثل ازدواج أو رد فعل مزدوج: الأولى تكون خارجية ضعيفة التهديد أو الخطورة، والثانية داخلية وهي تهديد إذ تضع الهوية الأصلية للفرد في خطر**" (كوسة، 2004،2005م، صفحة 59) الهيمنة والتبعية التي توقع الطفل في أمر أشد خطورة يعمل على تكوين الفرد على الأحادية والانعزال.

الأمر الذي يحيلنا للقول إن: أدب الطفل "**المبثوث عبر أجهزة الحاسوب الآلي أو شبكة المعلومات أو البلاي ستا يشن، تزرع فيه الفردية والعزلة والتقوقع، وربما أعراضا أخرى متشابهة لإدمان الكحول والمخدرات حيث يمارسها في المنزل، وبمفرده في أغلب الأحيان**" (طوسون، 2009م، صفحة 19) وبالتالي الجدير بنا تفادي صعوبة هذا الأمر، وذلك باللجوء إلى عوامل توظيف التقنيات التكنولوجية والتوجه إلى برامج تبث عبر جهاز الكومبيوتر، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: برامج تعليم المبادئ والقيم الأخلاقية والتربوية والمعرفية للطفل، برامج ألعاب الأرقام أو الحسابات ورسومات هندسية، بالإضافة إلى البرامج العلمية المتخصصة في العديد من المجالات كالطب ،الألعاب الرياضية، الرسم، المسرح..الخ.

ولتفعيل محاور مخاطبة الطفل حول الهوية إجمالا، وجب إيجاد الحلول الممكنة المتمثلة في الثقافة العامة: الأدبية، الإعلامية، الدينية، السياسية، التعليمية والفنية، وصياغتها في قالب يتناسب مع اللغة الجديدة المنبثقة عن آلية التواصل الإعلامية. حيث توجد العديد من المواقع التعليمية التي تقدم المعلومات بما يتناسب مع عمر الطفل، وبطريقة جذابة كاستخدام الألوان والأصوات التي تجعل المعلومة قريبة للطفل، من منطلق اعتبار أن هذه الأمور موجهة إلى فكر ووجدان الطفل، والعمل على تشكيله بما يتناسب ومتطلبات مرحلة طفولته، وكذا متطلبات البلد المتواجد فيه. ينظر، (مخاطر وإيجابيات استخدام الطفل للأنترنيت– موقع ليالينا، 2019)

ولمثل هذه الأمور وأخرى باتت أهمية أدب الطفل ضرورة حتمية بإعادة توجيهه وانفتاحه على العالم الرقمي؛ إذ أصبح للأدب الرقمي الموجه للطفل في زمننا الراهن أهمية إضافية، في مقابل السلبية التي جاء بها والمتمثلة في زرع الخلل في فكر القارئ – الطفل– وزعزعة كيانه، يعد هذا الأخير–كيان الطفل– عاملا أساسا يبني الوعي الحقيقي، وذلك لمواجهة الموجة الفكرية الوهمية التي تعتني بها الثقافة الغربية أيما اعتناء، من أجل الوصول إلى إحداث الخلل في مسار التواصل الهوياتي للطفل العربي المسلم.

5. التحصيل التراثي والثقافي بين الصياغة والتوجيه:

إذا أردنا أن نسلم بأن أدب الطفل وجب أن يكون أدبا رقميا، فإننا معنيون بالدرجة الأولى إلى بذل الجهد الكبير في كيفية تحوير المعارف التراثية، وتمكين المعارف الثقافية من أن تشغل إطار الوطنية، وتبرز الانتماء الديني، والثقافة الإسلامية العربية بامتياز.

وعليه نؤكد أن الطريقة التقليدية في كتابة أدب الطفل والتواصل معه لم تعد كافية؛ إذ وجب أن تتبعها بأشياء أكثر تأثيرا على نفسية الطفل.

وقد استطاعت وسائل الاتصال الرقمي أن تثبت فاعليتها في ذلك، فما علينا نحن إلا أن نشدد اهتمامنا بمسألة التحوير لمجموع المبادئ التراثية، وإعادة صياغتها في قالب الشاشة الزرقاء، التي يبرز الطفل في استخدامها بمهارة كبيرة "**وعلى هذا الأساس قامت بعض الشركات بإعادة إنتاج بعض الحكايات كليلة ودمنة وغيرها، على أسطوانات ليزر محركة باستخدام الوسائط المتعددة من صوت وموسيقى وأغنية، وجرافيك وكارتون وإحالات كثيرة داخل الأسطوانة نفسها...إلى آخر تقنيات تصنيع السي دي روم ومثال على ذلك حكايات القرد والغيلم.**" (طوسون، 2009م، صفحة 15)

كما أننا معنيون أيضا بتوسيع الممارسة الرقمية للطفل، ونقل هذه الثقافة إلى المحيط المدرسي الذي يكون فيه الطفل داخل نطاق تواصلي شاسع، ومثال ذلك "**دخول الهيئات والمؤسسات التربوية العربية مضمار الإنترنيت مع وضع معايير ضابطة وحاكمة لمواقع الإنترنيت الموجهة للطفل وضرورة مشاركة التربويين في إعدادها، مع عدم إغفال أهمية الإنتاج التقني والفني الملائم لطبيعة الأطفال ونفسيتهم مؤكدة على وجوب وضع قضية الانتماء الوطني العربي على رأس الأولويات عند إعداد برامج المواقع والبعد عن الرسائل الغريبة المباشرة وغير المباشرة حتى يتحقق هذا الهدف**" (طوسون، 2009م، صفحة 16). الذي يلغي فكرة التباعد بين الطفل، وما يوجه إليه من معارف وأفكار في أدب الطفل، ويحميه من سلبيات التواصل التفاعلي، والإقبال غير المؤسس من استعمال وسائل الإعلام، ومشاهدة البرامج الدخيلة على فكره ومحيطه.

ولا نهمل أيضا الجانب الإسلامي؛ الذي يعد ركيزة أساس في بناء الطفل على ثقافة إسلامية ترقي أخلاقيات التواصل الهوياتي عنده مع الآخر، الأمر الذي يحيل إلى تمكينه من "**اكتساب منهج ديني... الذي يحيل مباشرة إلى حصول الطفل على المنهج الأدبي**" (زلط، 1994م، صفحة 145) والتمكن من اللغة، وهذا الأمر ليس بالمستعصي على أن يبث في إطار رقمي موجه للطفل، من أجل التحصيل والتطلع على التراث الإسلامي واكتساب الفكر الديني، الذي يمنحه احتمالية أن يترجم في أفكار يبني بها المجتمع في المستقبل.

ومن المشترط أيضا أن تلقن هذه البرامج ليس هدفا لملئ الفراغ، ولكن لهدف التربية الدينية والتعلم التواصلي، وأن لا يقتصر البث على القصص القرآني فقط ، وإنما يتجاوز الأمر إلى إبراز الأعمال المبنية على التخلق الديني.

وعليه نقول إن: أدب الطفل يمكن أن يكون الوعاء المحمل بمجموع الثقافات المختلفة، التي تشكل معنى الهوية في ذات الطفل، وبالأخص أدب الإسلام؛ الذي من المفروض على أدب الطفل حمايته والإنشاد به "**فأدب الطفولة ينادينا بأن نجعله أسلوبا وطريقا لبداية دعوة إسلامية عالمية تشغل العالم كله** "

(عبد الفتاح، 2000م، صفحة 12) وتروج لثقافة هي أشد ضبطا، وأقوم تعاملا في التواصل الذي يؤكد على انتماء الذات البشرية إليه، مهما اختلفت الطرق والتوجهات الدينية، وتباينت الرؤى.

مما تقدم نخلص بالقول إن: العملية التقنية الجديدة المفروضة على أدب الطفل؛ وجب أن تعلن بطريقة جدية وهادفة إلى تحديد المسار الصحيح؛ الذي يوجه الطفل إلى التفاعل مع مكتسبات الهوية الأصيلة؛ بأن يثبت هويته الدينية وثقافته الفكرية، التي يبنيها الخيط الواصل بين الحضارة والأصالة، والطفل الذي ينتمي إليها، والتفاعل التواصلي الراهن المبني جداره على الاغتراف من ثقافة الآخر ضمن الشروط المعقولة، والتي لا تفند وجود المكتسب الحضاري داخل الكيان العربي المسلم لدى الطفل.

خاتمة

وخاتمة القول إنه: لتفادي سلبيات وسائل الإعلام المختلفة، والاهتمام بتأثيرها نحو الإيجابي بالنسبة للطفل، وجب تطويع أهم مبادئه عبر الآلية الرقمية، والعمل على تمكينها من جدب الطفل، وتنمية فكرة الانتماء إلى الأمة التي ينزاح إليها.

وبالتالي يكون تأثير ثقافة الآخر تأثيرا ضعيفا، وجزئيا، فأدب الطفل وجب أن يدخل العالم الرقمي المفتوح، ويظهر دائما في واجهة قريبة جدا إلى فكر وعقل الطفل العربي، وأن يتخذ شكلا متوازنا مع عقلية الطفل الصغير، وأن يفعل جميع آليات الإقبال عليه كوسيلة تمكنه من تجاوز العقبات التي تعتريها في فترته القصيرة هذه.

وعلى هذا الأساس يتم الانطلاق إلى تكوين شخصية ثابتة، تحدد معايير انتمائها للوطن، وتبرز معاني الهوية بحيث يكون التواصل في أبعد معانيه؛ أي أنه تواصل إنساني مبني على أساس الثقة النفسية وثبات المبادئ التي تبني الهوية، مع وجوب الاكتشاف لما هو غريب عن عالم الطفل، والتأثر بما هو في إطار أخلاقي إنساني متعارف عليه، حتى وإن اختلفت الوجهة والرأي والملة.

قائمة المراجع والملاحق

إسماعيل محمد حسن، *المرجع في أدب الأطفال*، دار الفكلا العربي، القاهرة،(ط1)،2004م

الدسوقي منى،اللغة والهوية تحديات الهوية بين تغريب اللغة وتعريبها، مجلة الحداثة،عدد192/191 ربيع2018م.

العناني، حنان عبد الحميد، أدب الأطفال، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 1996م.

المحمداوي علي عبود، *خطاب الهويات الحضارية من الصدام إلى التسامح*، دار الأمان، الرباط – المغرب، (د،ط)، 2019م

بريغش محمد حسن، *أدب الأطفال أهدافه وسماته*، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1996م

بن يطو حورية، البعد السوسيولوجي لأدب الطفل: النموذج التصوري للتنشئة الاجتماعية، مجلة أدبيات، المجلد 2العدد1،جوان 2020م

زلط أحمد، أدب الطفولة، أصوله، مفاهيمه، رواده الشركة العربية، القاهرة، مصر، ط2، 1994م.

طوسون أحمد، أدب الطفل سؤال الهوية والإبداع، هيئة قصور الثقافة، القاهرة، مصر،2009م.

عبد السلام يحي، سيمياء القص للأطفال في الجزائر، *مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه*، جامعة عباس فرحات، سطيف– الجزائر،2011،2010م

إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر،الدار العربية للكتاب، القاهرة – مصر، ط1 2000م.

كوسة فاطمة الزهراء، الهوية عند الشباب الجزائري دراسة استكشافية بحث *مقدم لنيل درجة الماجستير في علم النفس العيادي*، جامعة الجزائر،2005،2004م.

***مخاطر وإيجابيات استخدام الطفل للأنترنت–موقع ليالينا*،الأحد/2019/11/24**

http//www.layalina.com السبت/2022/01/22/16:49الساعة

هوكس ديفيد، *الأيديولوجية* تر:إ براهيم فتحي ,المجلس الأعلى للثقافة، (د،ط)،1996م

*المقصود بأدب الطفل: هو كل ما يقال للأطفال بقصد توجيههم، فهو قديم قدم التاريخ البشري يلتزم فيه الأديب بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة، وكل ما يجمع المتعة والموهبة والتثقيف والواقعية. ينظر، (بن يطو، 2020م، صفحة 13).

**فالهوية تتضمن الانتماء، والحاجة إلى الهوية لا تنفصل عن حاجة الإنسان إلى الانتماء، فالانتماء صفة أصلية للهوية، ومن خلاله تبرز الهوية الكامنة في نفس الفرد تجاه وطن أو قومية معينة، كما حثت مجمل الأحاديث النبوية الشريفة، والآيات القرآنية الكريمة على الانتماء وتقويته، والتأكيد على الهوية الإسلامية للأفراد والمجتمع، وربطوا بين الالتزام بالهوية وقوة الانتماء، وبين مدى الإيمان بالله وبالدين الإسلامي (الدسوقي، 2018).